المقاومة فضحت العدوان المبيّت على رفح.. وأربكت رعاته

إيهاب شقورة
كاتب ومحلل سياسي

ممّا لا شك فيه أن الرد الصهيوني على مرونة حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في التعاطي مع مقترح وقف إطلاق النار وإعلانها الموافقة عليه، والذي تمثل ببدء العدوان على رفح وقصفها واحتلال معبرها، هو أكبر دليل على جوهر المشروع الصهيوني القائم على الغدر والخداع والنفاق. كما يعكس هذا الرد نظرة العدوّ الدونية للوسطاء، فقد شكّل العدوان، قبل دراسة الرد والتشاور مع الوسطاء، إهانة شكلية لمصر وقطر، وإهانة عملية لمصر خاصةً واستهانة كبرى بتحذيراتها السابقة.

هناك العديد من الشواهد التي تقول إن عدوان رفح كان مخطّطًا له بمعزل عن موقف "حماس". فقد حدثت أمور لافتة، صبيحة يوم الموافقة، وأبرزها اتفاق اعلامي رسمي عربي على وصف موقف "حماس" بالتعنت، وأنها السبب وراء انهيار المفاوضات بإقدامها على عملية كرم أبو سالم، وكأنّ هذا الاعلام العربي يعلم أن المفاوضات انهارت ويعلم ساعة الصفر لبدء معركة رفح. لكن تسبّبت الموافقة المفاجئة لـ"حماس" بإرباك الجميع، بمن فيهم الوسطاء الذين تجهزوا لمرحلة الهجوم الإعلامي وتسويغ العدوان على رفح.

هذا الارتباك تمثل بوصف الخارجية القطرية للموافقة وصفًا فاترًا، حين قالت إنّ رد "حماس" يمكن وصفه بالإيجابي، وهو وصف فاتر لإنجاز من المفترض أنه كبير. كما كُشف نشر تقارير منسوبة لمصادر مجهّلة، بأن "حماس" وافقت على ورقة أعدها الوسطاء وعدّلوا بها ولا تعرف "إسرائيل" شيئًا عن التعديلات، تاليًا هي غير محمّلة بالتزامات وقد لا تقبل المقترح، وهو تبرئة للعدو من التراجع والتملص من وقف إطلاق النار.

في هذا السياق، لا بد من رصد حقيقة بدت جلية في الممارسات الصهيونية والأميركية، ولا سيما بعد المرونة الكبيرة التي أبدتها "حماس" مع المقترح الأخير الذي يلبي الحد الأدنى من مطالب المقاومة، ألا وهي أن العدوّ وراعيه الأميركي يستغلان المفاوضات لكسب الوقت وتخفيف الضغوط الداخلية ولخداع الرأي العام. باختصار يمكن وصف هذه المفاوضات بأنها مسرحية، والطرف الجاد الوحيد بها هو المقاومة.

كما يمكن استخلاص قاعدة جديدة، مفادها أن "إسرائيل" كما لا تستطيع محاربة المقاومة بمفردها، هي أيضًا لا تستطيع التفاوض مع المقاومة بمفردها.

العدوّ وراعيه الأميركي يستغلان المفاوضات لكسب الوقت وتخفيف الضغوط الداخلية ولخداع الرأي العام

أولاً: على مستوى الحرب، خلص تقرير الباحث في معهد العلاقات الدولية في براغ والباحث الزائر في معهد دراسات الأمن القوميّ في جامعة "تل أبيب" عزرئيل بيرمانت إلى أن القصف الصاروخي الإيراني للكيان، والذي وقع في ١٤ نيسان/أبريل، أظهر أن "اسرائيل" لا تستطيع أن تنتصر على إيران بمفردها.

ثانياً: على المستوى السياسي، ثبت أن الكيان لا بد له من أطراف داعمة تتظاهر بالوساطة وبالرعاية وبأنها أطراف ضامنة، مع أن هذه الأطراف تسعى لتمرير المطالب والمصالح الصهيونية، وعندما تيأس من تنازل المقاومة، فلا مانع عندها من تحميلها مسؤولية انهيار المفاوضات وتملص العدوّ من التزاماته.

باختصار شديد، لقد دخل العدوّ الصهيوني وراعيه الأميركي المفاوضات لتحقيق عدة أهداف، ليس منها على الإطلاق السلام ولا وقف إطلاق النار، ويمكن رصدها في ما يلي:

١ - التظاهر أمام الرأي العام الداخلي الصهيوني والأميركي، وكذلك العالمي، بأن هناك محاولات للسلام ولاستعادة الأسرى وإدخال مساعدات للمدنيين، وتحميل حماس ومحور المقاومة مسؤولية الفشل واستمرار العدوان.

٢ - رفع الحرج عن الأنظمة العربية وتسويغ صمتها وإهدائها دورًا في القضية، فظهورها بمظهر الساعي للحلول وأنها تبذل جهدًا لمصلحة القضية وتسويغ كذلك علاقاتها الاستراتيجية بأميركا، من باب أنّ لها أهمية وجدوى تتمثل في المساعي المشتركة لكبح جماح العدوان.

٣ - محاولة انتزاع تنازلات من المقاومة بالتفاوض عوضًا عن الفشل في انتزاعها بالقوّة.

لكن موافقة "حماس" أسقطت ورقة الهجوم عليها، وأفشلت خطة الوقيعة بينها وبين أهالي غزّة المنكوبين، وهي وقيعة خُطّط لها في ما يبدو تزامنًا مع خطة اقتحام معبر رفح وما يتسرب عن خطط لإدارته عبر ما سمّي بـ"إدارة مدنيّة" تحت لإشراف صهيوني.

نرى أن العدوان على رفح مبيّت، وأن الخطط العسكرية التي يجري إعدادها لغزّة هي خطط أميركية صهيونية تتخطّى نطاق الحرب الراهنة، وتتعلق بأطماع كبرى في احتلال ثروات غزّة وحقول الغاز ومشروعات التطبيع المستقبلية، وأن التفاوض يستكمل فقط ذرائع العدوان. في هذا السياق؛ نرى أن "حماس" نجحت في الشق السياسي، كما نجح محور المقاومة في إسنادها سياسيًّا بتثمين خطوتها ومرونتها ورمي الكرة في ملعب العدو.

استعراض الفشل الصهيوني

إيهاب زكي
كاتب ومحلل سياسي

لا ينفكّ كيان العدوّ عن اجتراح الفشل عند كلّ استحقاق، وكلما حاول استدراك فشل سابق استدركه بفشلٍ أكبر، فراكم فشلًا فوق فشل، وآخر مظاهره هو المفاجأة من قبول حركة حماس للمقترحات الأخيرة التي قدمها الوسطاء. وكان الاعتقاد السائد، في مركز القرار الصهيوني، هو أن ترفض حماس، ليصطنعوا شرعية الهجوم على رفح.

كان رئيس وزراء العدو بنيامين نتنياهو يمنّي النفس بأن يسوّق لجمهوره انتصارًا معلنًا، حيث تُصوّر موافقة حماس بأنها تراجع وهزيمة أمام هول جنازير الدبابات في رفح، لكنّ استباق حماس إعلان الموافقة قبل التحرك الإسرائيلي نحو رفح، أسقط هذه الورقة من يده، ومن يد الكيان تاليًا، والأصل من يد الأميركي، فبدت خطوة الهجوم على رفح بلا مشروعية، سعت "اسرائيل" للاستحصال عليها.

إنّ السلوك الأميركي منذ إعلان حماس موافقتها على المبادرة المصرية القطرية، هو مصداقٌ للنهج الأميركي الذي يستفيد من إنجازات أدواته، لكنّه لا يتحمل إخفاقاتهم، بل يتحمّلونها وحدهم، أيّ أنّ الغُنم لها في ما لهم الغُرم. ونتنياهو مجرد قفازٍ حديدي تستخدمه الإدارة الأميركية، وتلوّح به في وجه كلّ أعدائها في المنطقة، وبحسب نتائج التلويح تبني أميركا سلوكها اللاحق.

نلاحظ التصريحات الأميركية أنّها تعطي الوقت للكيان بالهجوم على رفح ليمارس الجرائم كلها، وفي الوقت ذاته تتنصل من الفعل على أساس أنها غير موافقةٍ عليه. ويُصوّر بأنّ نتنياهو تمرّدَ على قرارها بعدم الهجوم على رفح، مع أنّه لو نبح نبحةً واحدة خارج السيمفونية الأميركية لقطعت أميركا أحباله الصوتية ليصمت للأبد، نتنياهو يستطبع المشاكسة فقط كطفلٍ بليدٍ مدلل، كونه أكثر من يعرف الحاجة الأميركية الملحّة إلى وجود الكيان وسط هذه المنطقة.

ما يحدث هو أنّ الإعلان عن موافقة حماس كان مفاجئًا ومدوّيًا، كون الاتفاق تسليمًا شبه مطلق بالشروط الحمساوية وفصائل المقاومة في غزّة، بمعنى خسارة إسرائيلية كاملة، من دون تحقيق أيٍّ من الأهداف المعلنة. هذا فضلًا عن تعزيز قوة حماس ووجودها وبقائها، حيث أصبحت تمتلك قرار الحرب الإقليمية التي قد تتحوّل إلى حربٍ عالمية.

بدأت الحرب بهدف سحق حماس عسكريًا وسياسيًا وسلطويًا، وتشارف في هذا الطور على نهايتها، وفي يد حماس مفاتيح الحرب الإقليمية. فكلّ جبهات الإسناد المفتوحة في لبنان والعراق واليمن، من دون تردّدٍ أو تلجلجٍ، يعلنون أنّ قرار إغلاق الجبهات أو اتساعها أكثر هي في يدّ حماس، إن قبلت بوقف النار بشروطها وتوقف العدوان، مباشرةً تُغلق الجبهات جميعها وتعود لما قبل السابع من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣، وهذا يعني أنّ حماس التي أرادوا سحقها أول الحرب، أصبحت قوةً إقليمية في آخرها.

من نافل القول إنّ الوسيطين المصري والقطري لا يمتلكان صلاحيات إنشاء المبادرات؛ بل هي مبادرات أميركية، والمبادرة الأخيرة هي كذلك أميركية. وكلها جاءت تلبيةً لشروط القادر، بعيدًا جدًا عن شروط العاجز، لذلك كان هذا الاستنفار في رفح لمحاولة استعادة بعض ماء الوجه، لأنّ الضغط العسكري في رفح هو الذي جاء بحماس والمقاومة إلى طاولة التفاوض وقرار القبول.

حتّى هذه اللحظة يبدو دخول رفح استعراضيًا، حيث نشر جنود العدوّ الصور والفيديوهات من معبر رفح بشكلٍ أكثر ممّا نشروه على مدار شهور العدوان، وذلك في محاولاتٍ حثيثة للحصول على صورة نصرٍ في رمق الحرب الأخير.

كذلك حتّى اللحظة، ما تزال المفاوضات جارية، ولم يعلن أحد أطرافها تعليقها أو وصولها إلى طريقٍ مسدود. وحين نسترجع تصريحات حماس بأننا لن نفاوض تحت النار، في تلويحٍ بتعليق التفاوض في حال اجتياح رفح، وعدم إعلانها تعليق التفاوض حتّى اللحظة، يعني أنّ ما يحدث ليس اجتياحًا، إنّما مجرد "فشة خلق نتنياهية" على تجرع مرارة الفشل.

كما أنّ الرفض الإسرائيلي للموافقة التي أعلنتها حماس، لم ينتج قرارًا بتعليق التفاوض؛ بل أرسل نتنياهو وفدًا تفاوضيًا إلى القاهرة. وعليه؛ الأرجح هو أن تكون العملية في رفح محدودة. ولكن هذا لا يعني أنّ للجنون الأميركي حدود، أو أنّ عصابات المجرمين القتلة يرعوون أو تردعهم قوانين أو أخلاق، فلا رادع لهم إلّا الخوف، ولكن طالما التفاوض حتّى اللحظة مستمر، ووتيرة المعارك ظلت على هذا النحو البطيء والمتقطع، فإنّ الأرجح هو تفاوضٌ بالنار، وليس قلبًا للطاولة.

التحليل الإخباري

القشة القاصمة لظهر الكيان الصهيوني

اسماعيل المحاقري
كاتب ومحلل سياسي

المراقب لأحداث غزّة وتطوراتها منذ بدء عملية طوفان الأقصى وصولًا إلى تهديد رفح، وما يصاحب ذلك من انتهاكات صهيونية لقوانين الأرض وتشريعات السماء يدرك أن الهزيمة الإسرائيلية في السابع من تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٣ كانت ساحقة، والقلق الوجودي لدى قادة الكيان يتعمق يومًا بعد آخر، والوحشية المفرطة وجرائم حرب الإبادة الجماعية المتواصلة التي حصدت معها أرواح عشرات الآلاف من الأبرياء من نساء وأطفال، لم تخف تلك الحقيقة ولا التشوهات والندوب في جسد الكيان.

اجتياح رفح بعد سبعة أشهر من المواجهة لن يجلب لقطعان المستوطنين الأمن، ولن يكسر إرادة الشعب الفلسطيني أو يخمد نار الانتقام في أعماق المجاهدين الفلسطينيين الأبطال. كذلك، لن يحقق للعدو الإسرائيلي أهدافه العسكرية المعلنة، وإن مكنته قوته الغاشمة من استعادة بعض أسراه فسيكون ذلك في توابيت، أو أن جيش العدوّ سيكتفي بقتل القليل أو الكثير منهم، كما فعل في أماكن متفرقة اجتاحها في غزّة، وبالتالي يفاوض على استلام الجثث وسيشكّل ذلك ضغطًا أكبر عليه على طاولة المفاوضات ويعزز من حالة السخط والانقسام في الأوساط الصهيونية.

بالنسبة لهدف تدمير "حماس" وحركات المقاومة الفلسطينية، فالواقع الميداني المعزز بثبات المجاهدين وصواريخهم التي أطلقت مؤخرًا من أول منطقة اجتاحها العدوّ في غزّة باتّجاه المستوطنات، يؤكد أن العدوّ فشل في تحقيق هذا الهدف وأنه سيخرج من القطاع بجيش نصفه منهك ومدمر معنويًا والنصف الآخر يعاني من الإعاقة والجنون والحالات النفسية.

محاولات تهجير الشعب الفلسطيني هي الهدف الذي يتمسك به العدوّ، ويتوهم أن بإمكانه تحقيقه من بوابة الاعتداء على رفح. غير أن الواقع الميداني سيفرض على النازحين العودة إلى مناطقهم تحت أي ظرف مع تزايد الضغوط الدولية والمطالب بإيصال المساعدات للشعب الفلسطيني، الأمر الذي يصعب على حكومة نتنياهو مواجهة هذا الاستحقاق لا سيما وأن بعض قادتها يواجهون خطر إصدار محكمة الجنايات الدولية أوامر اعتقال بحقهم رغم تدخل واشنطن وتهديد قضاة المحكمة بفرض عقوبات عليهم في حال مضيهم قدمًا في إصدار أوامر الاعتقال وفق موقع "اكسيوس".

هدف فصل شمال غزّة عن الجنوب وتثبيت قواعد عسكرية للتحكم بالورقة الإنسانية واستخدامها كأداة ضغط في ظلّ انعدام الخيارات الإسرائيلية، وانسداد أفق الحسم العسكري ما يزال قائمًا، والغاية من ذلك أيضًا منع وصول الأسلحة والدعم المالي لفصائل المقاومة، وهذا أقصى ما يطمح إليه العدوّ في هذه المرحلة ولن يصل إلى مبتغاه.

واستنادًا لما سبق فإن التوغل والاستمرار في ارتكاب الجرائم في رفح سيكون بمثابة القشة التي تقصم ظهر البعير الصهيوني وقطيع التطبيع، وليست تلك القشة التي يمكن لقادة الكيان التشبث بها لاستنقاذ أنفسهم من الغرق في مستنقع القطاع المحاصر.